دراسات معاصرة
Contemporary Studies
مجلة علمية دولية محكّمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة المركز الجامعي-تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-988 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Algerian Scientific Journal Platform

المجلد:04/ العـــــــدد:03 ديسمبر (2020)، ص 95- 111

الممارسة النقدية التاريخية في الجزائر

Historical criticism practice in Algeria

أ.د. خلف الله بن علي

khalfallah.benali@cuniv-tissemsilt.dz

المركز الجامعي تيسمسيلت

(الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2019/05/24 تاريخ القبول: 2019/10/25 تاريخ النشر: 2020/12/02

ملخص:

يشتغل هذا البحث على المدونة النقدية الجزائرية وبالتحديد المنهج التاريخي فيها. ويعتبر هذا المنهج من أول المناهج التي ظهرت في الغرب ولدى العرب وفي بلادنا؛ باعتبار الاشتغال على تاريخ الأدب من المرتكزات التي يقوم عليها أي أدب يريد النهضة.

وسنحاول البحث في ما أنتجه الناقد الجزائري بواسطة هذا المنهج خاصة لدى أشهر نقادنا وهم: أبو القاسم سعد الله، عبد الله ركيبي، محمد ناصر، صالح خرفي.

الكلمات المفتاحية: النقد السياقي، المنهج التاريخي، النقد الجزائري، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الأدب.

Abstract:

This research works on Algerian literary criticism, in particular its historical approach. This approach is one of the first approaches that has emerged in the west, in the Arabs and in our country, considering

that the history of literature is one of the cornerstones of any literature that wants to renaissance.

We will try to look into what the Algerian critic has produced through this approach, especially among our most famous critics: Abu al-Qasim Saad Ah Om, Abd al-Nasser, and Madaa Naser, Saleh Nghebi.

Keywords: Contextual critique, historical approach, Algerian criticism, Abu al-Qasim Saad Allah, The history of literature.

مقدمة:

قبل البدء يجب التذكير أن النقد الجزائري السياقي استطاع أن يتّخذ جُّل المناهج الموجودة كآليات لاستقراء الأعمال الأدبية، إلاّ أنّ ذلك كان بدرجات متفاوتة كَمًّا وكَيْفًا، لأنّ المتتبّع لدراساتنا النقدية يلمس هذا التفاوت، فمن نقادنا من فهم هذه المناهج وأجاد في تطبيق معطياتها -إلى حدّ كبير- على المتون المدروسة، واستوعب معطياتها تنظيرا وتطبيقا، في المقابل أن البعض الآخر اقتصر على الواضح منها فكانت دراساتهم جزئية وعلّة ذلك -ربما- محدودية فهمها، أو الخلط بينها.

ونقطة أخرى ارتأينا أنها ذات قيمة، وكان لزاما علينا إدراجها في هذا المقام، وهي أن تبنّي هذه المناهج كان أشد وضوحًا في مدنتنا النقديّة انطلاقًا من بدايات الستينيات، أما قبل ذلك فكانت هناك أشياء ذاتية انطباعية تكاد تخلو من أية منهجية.

وسنحاول أن نتعرض لهذه المناهج في مدونتنا النقدية، محاولين الكشف عن قيمتها وما قدمته لهذا النقد، ونتعرض كذلك لأهم الأعلام الذين تبنوا هذه المناهج، كاشفين عما أصابوا فيه وعما جانبوا فيه الصواب على السواء، معتمدين في إصدار أحكامنا على آرائنا وآراء نقاد تعرضوا لهذه المادة النقدية بالدراسة.

النقد التاريخي:

يُجمع النّقاد والدّارسون على أنّ المنهج التاريخي أحد المناهج القديمة التي واكبت الظواهر الأدبية وحاولت مدارستها، وتفسيرها وتدوين أخبارها ومعطياتها وأسسها، فهو يعتمد على تفسير نشأة الأثر الأدبي وعلاقته بزمانه ومكانه وشخصياته، حرصا منه على البعد التاريخي للظاهرة الأدبية، ولذلك نجده في كثير من طرائقه أشبه بالدراسات التي تهتم بتاريخ الأدب؛ إذا لم

نقل أن تاريخ الأدب مرحلة أولى من مراحل تجسيد المنهج التاريخي في الخطاب النقدي الحديث، إذ عدته المادة التي تنحصر في الرواية والأخبار، ووسيلتُه التاريخ الذي يعبّـر في جـوهره عـن الذاكرة الإنسانية بمختلف نشاطاتها المادية والفكرية[1]، وعموما فالنقد التاريخي "هو الذي يرمـي قبل كل شيء إلى تفسير الظواهر الأدبية والمؤلفات وشخصيات الكتاب، فهـو يعـنى بـالفهم والتفهيم أكثر من عنايته بالحكم والمفاضلة، والنقاد الذين يجنحون إلى هذا النقد يؤمنون بأنّ كلّ تفسير من الممكن بعد ذلك أن يخرج منه القارئ بحكم لنفسه"[2].

وإذا عدنا إلى تاريخ هذا المنهج، فإنّه في العصر الحديث اتخذ طـابع القـراءة المنهجيـة المؤسسة وذلك بفضل جهود (سانت باف وهيبوليت تين، وفاردينان برونتيار وغوستاف لانون، وريمون بيكار)، فاجتهدت القراءة التاريخية من أجل تحقيق النصوص وتوثيقها واستحضار حيـاة المؤلف وبيئته وجيله من أجل شرح الظواهر الإبداعية، معتمدة على إبـراز العوامـل الجغرافيـة والدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، كما سعت لدراسة الأطوار التي مرّ بها فن من فنون الأدب وأنواعه، ورصد الأقوال التي قيلت في عمل ما أو مبدع لترجح بينها، ثمّ تعتمـد علـى المرجع لتستعين به لمعرفة العصر والملابسات التاريخية المساهمة في إنتاج ذلك العمل[3].

يصنف معظم النقاد[4] نهاية الربع الأول من القرن الماضي تاريخا لبدايات النقد التاريخي في الوطن العربي، مع (طه حسين) الذي طبّق بعض ملامح ثلاثية (تين)* عل بعض النماذج العربيـة كمؤلفيه (في ذكرى أبي العلاء المعري) و(في الأدب الجاهلي)، وجرجي زيدان في مؤلفه (تـاريخ اللغة العربية) و(أحمد أمين) في سلسلة (فجر الإسـلام وضُـحى الإسـلام وظُهـر الإسـلام) و(مصطفى صادق الرافعي) في (تاريخ آداب العرب)، فيما غدا بعض النقاد العرب ينهلون مـن منهج (لانسون) كـ(أحمد ضيف ومحمد مندور). إثر ذلك أخذ النقد التاريخي يفعـل فعلـه في الخطاب النقدي العربي خاصة الأكاديمي منه، وذلك منذ بداية الستينيات علـى أيـدي أشـهر الأكاديميين العرب، والذين تحولت أطروحاتهم الجامعية إلى معالم نقدية، ومن رموز هذا المنهج – ونقصد بعد ستينيات القرن الماضي– نجد (شوقي ضيف، وسهير القلماوي، وعمر الدسوقي) في مصر، و(محمد صالح الجابري) في تونس، و(شكري فيصل) في سورية، و(عبـاس الجـراري) في المغرب، و(أبو القاسم سعد الله، وصالـح خرفي، وعبد الله ركـيبي، ومـحمد ناصـر) في الجزائر[5].

أما إذا عجنا على تجليات هذا المنهج في النقد الجزائري، فيمكن الجزم أنّـه البـاكورة المنهجية التي فتح الخطاب النقدي الجزائري المُؤسس عينه عليها، وذلك ابتداءً من مطلع ستينيات

القرن الماضي، وعلى وجه التحديد سنة 1961 وهي السنة التي ظهر فيها إلى الوجود كتاب الدكتور (أبي القاسم سعد الله) عن الشاعر محمد العيد آل خليفة*؛ وهذا الكتاب في الأصل رسالة ماجستير أشرف عليها الدكتور (عمر الدسوقي)[6]. لتليها دراسات وأبحاث أخرى لأقطاب هذا المنهج –لدينا– أمثال (عبد الله ركيبي)، و(صالح خرفي)، و(محمد ناصر) و(عبد الملك مرتاض في مرحلة أولى من تجربته النقدية)، وسنحاول –فيما يلي– أن نبحث في تجليات هذا المنهج لدى بعض نقادنا، ونبيّن كيف طُبّق في دراساتهم النقدية، وسنحاول –قدر المستطاع– أن نأخذ معظم الخطابات الأدبية التي طُبِّقَ عليها هذا المنهج، معتمدين في ذلك على ترتيب النقاد حسب أهمية أعمالهم النقدية تبعا لهذا المنهج، ومعتمدين –من جهة أخرى– على تصنيف النقاد لهم.

1- أبو القاسم سعد الله:

يعدّ هذا النّاقد أوّل من تبنّى المنهج التّاريخي في دراساته النّقديّة في الجزائر، لا بكتابه عن محمّد العيد آل خليفة فحسب، بل بما نشره من دراسات ومقالات في أشهر الدّوريات العربيّة، والّتي جُمعت لا حقا في كتابه (دراسات في الأدب الجزائريّ الحديث) والّذي نشر سنة 1977، بيد أنّ كتابه عن محمّد العيد آل خليفة هو باكورة نزوعه المنهجيّ التّاريخيّ والّذي مهّد له السّبيل إلى الجمع بين الأدب والتّاريخ، ثمّ تَخَصُصُه فيما بعد باحثا مجتهدا في تاريخ الجزائر.

وقد قسّم كتابه إلى ثلاثة أقسام: ففي **القسم الأوّل** تعرّض إلى حياة الشّاعر من وجهات ثلاث (البيئة والمنشأ والثّقافة ثمّ رؤاه وتجاربه)، أمّا **القسم الثّاني** فتعرّض فيه لشعره، حيث قسّم هذا الشّعر إلى أنواع ومضامين وأغراض (الشّعر الاجتماعيّ، الشّعر السّياسيّ، الشّعر الذّاتيّ، شعر المجاملات، الحياة العربية في شعره، آسيا وإفريقيا في شعره، ثمّ خصائص شعره ومترلته) أمّا القسم الثّالث فاستحضر فيه نماذج من هذه الأنواع والأغراض الشّعريّة الّتي تناولها.

والواضح –في هذه الدراسة– أنّ جلّ أقسامها ترتكز على التّفاصيل التّاريخيّة لحياة الشّاعر وعصره وموضوعات شعره، وكذا ارتباطها بما قيلت فيه من مناسبات تاريخيّة كما هو متعارف عليه لدى نقاد هذا المنهج، وفي المقابل يبدو واضحا عدم الاهتمام بالجوانب الفنّية والّتي كان حجمها 18 صفحة من 213 صفحة، والّتي ركّز فيها على بعض الأمور البلاغيّة كالاقتباس والتّكرار والبديع وبعض الخصائص الموضوعيّة كوحدة الموضوع والمناسبة.

ولئن وجدنا هذا التقصير في الدراسة الفنيّة فهذا راجع -ربما- إلى أنّ ميوله إلى التّأريخ للأدب غلب على ميوله إلى النّقد الأدبي، كما أنّ الدّراسة التّاريخية تفرض التركيز على جانب التّوثيق للنّصوص المدروسة والاهتمام بالأديب ومنشأه وحياته وثقافته وآراءه وما إلى ذلك، مثلما لاحظنا عند لانسون، دون أن نغفل أنّ هذه الدّراسة كانت أولى التّجارب النّقدية المنهجيّة في بلادنا، وباعتبارها دراسة تأسيسية فلا يؤاخذ صاحبها إن أخلّ ببعض الأمور المنهجيّة، إلاّ أنه ومن ناحية تطبيقه للمنهج التاريخي فكما قلنا وبحكم ميوله إلى دراسة التاريخ فلقد استطاع أن يطبق معظم ما جاء به هذا النقد.

أما في كتابه (دراسات في الأدب الجزائريّ الحديث)[7] فلم يحد عن هذه النّهاجية. وفي الحقيقة الكتاب هو عبارة عن مجموعة من المقالات وفي معظمها دراسات تاريخيّة عن الأدب الجزائريّ وسنحاول أن نتعرّض لهذا الكتاب بالتفصيل حتّى نبين مدى وفاء النّاقد للمنهج التاريخي من عدمه.

فمن مقدّمة الطّبعة الأولى يصرّح النّاقد بنهاجيته التّاريخيّة إذ يقول: «ومن الواجب أن أذكر بأنّي لم أُعِدْ كتابة هذه الأبحاث، ولكنّي راجعتها لضبط تاريخٍ أو تصحيح عبارةٍ أو نحو ذلك، وكان ذلك رغبة منّي في أن تحتفظ هذه الدّراسات بطابعها التّاريخي والعاطفيّ...»[8]. ويبدأ هذه المقالات بالبحث التّاريخي في الأدب الجزائريّ، فصدّر هذه الدّراسة بمقال موسوم بـــ(الأدب الجزائريّ مؤثّراته وتيّاراته)* فربط في مقدّمته بين الأدب الجزائريّ والأدب العربيّ بيئيّا وتاريخيّا، كونهما عاشا نفس الظّروف والمشكلات التّاريخيّة والفكريّة، غير أنّ تأثير الاستعمار على الأدبيين —في رأي النّاقد- يختلف، فإذا كان نعمة على بعض الدّول، والّتي جلب إليها الطّباعة ونظام المدارس والصّحافة كمصر ولبنان وسوريا، فإنّه كان على الجزائر وبال، أي كان عامل تخريب وبعثرة وتحطيم لكلّ القيم الفكريّة، والّتي كانت تعاني الرّكود والجمود والقدم كما هو معروف، وباختصار فقد جاء الاستعمار لا ليبني حضارة، بل ليسلب أفكار الشّعب، ويزوّر تاريخه ويحطّم كيانه، ويستغلّ ثروته.

إلاّ أنّ ذلك —وبعد حوالي قرن من الزّمن- تغيّر تدريجيّا بمساعدة ثلاثة مؤثّرات:

- أوّلها المؤثّر الغربيّ وذلك باتّصال الجزائر بفرنسا سياسيا واقتصاديا، وارتبطت بها حضاريا وثقافيا منذ 1830، إلاّ أنّ هذا التّأثير كان بطيئا ثقيلا بسبب عدم الاستجابة والتمسّك بالهويّة الجزائريّة.

– وثانيهما المؤثّر الشّرقيّ وذلك باقتداء الشّعب الجزائريّ بما يَجِدُّ في الشرق العربي من أفكار واتجاهات.

– أمّا المؤثّر الثّالث فهو وطنيّ يتجلّى في مجموعة الأحداث الكبيرة الّتي كان شعارها الحرّية.

هذه المؤثّرات جعلت المفكّر الجزائريّ خاصّة في مجال الأدب والنّقد الأدبيّ يتوجّه إلى التّيارات الموجودة آنذاك ولعل أهمّها: التيّار التّقليديّ والتيّار الرّومانتيكي والتّيار الواقعيّ[9].

فإذا عرضنا هذا المقال على المنهج التّاريخي في دراسة الأدب؛ نجد أنّ النّاقد التزم بعضها وأهمل بعضها الآخر، فالتّاريخ يغلب على هذا المقال من خلال ربطه الأدب الجزائري بالأدب العربي فهو يتحدّث عن الجنس والزمن والبيئة كما جاء لدى تين، ورأى تأثير الثّاني في الأوّل من خلال تعرّضه للمؤثّرات الخارجيّة في الأدب الجزائريّ، كما تتبّع تاريخيّا الأدب الجزائريّ قبل الثّورة، ودور المستعمر في ركود الحياة الفكريّة في بلادنا ، إضافة إلى تعرّضه إلى دور الاتّجاهات الفكريّة الأدبيّة في نهضة الأدب الجزائريّ تعرّضا تاريخيّا أكثر منه تبيانا لمواطن التّأثير، كأن يقول وهو يتحدّث عن أثر الرّومانسيّة في الأدب الجزائريّ «ولم يكن هذا التّيار الّذي ظهر بعد الحرب العالميّة الأولى مباشرة إلى ردّ فعل للأوضاع الّتي وصفناها، ولعلّه إذ يكون نتيجة محتومة لعوامل اجتماعيّة وسياسيّة خلقها الاحتلال...»[10]، دون أن نلمس مواطن التّأثير مباشرة، كما نلمس غياب النّصوص الأدبية (الوثائق) بلغة هذا المنهج، إضافة إلى غياب أسماء الشّخصيات الأدبيّة الجزائريّة إلاّ القليل منها. والنّاقد يستدرك في خاتمة هذا المقال غيّاب الشّواهد النصيّة إيمانا منه أنّ المقال هو عرض تاريخي للأدب وتحديد مفاهيمه وتياراته أكثر منه حديثا عن الشّواهد ومناقشتها وتحليلها.

بينما في مقاله الثّاني والموسوم بـــ (تصميم للشّعر الجزائريّ الحديث)*[11] فتبدو عليه النّهاجية التّاريخية واضحة، فقد مهّد له بجولة تاريخيّة مع شعراء الجزائر القدامى ليثبت أنّ هذا الوطن لا زال ينجب الشّعراء رغم أنّ بعضهم يدّعي* غير ذلك، ويلحقون الجزائر بفرنسا ثقافيّا.

والنّاقد يرجع أو يربط انبعاث الشّعر في الجزائر بالظّروف السّياسيّة وهي؛ مكافحة الاستعمار منذ مطلع القرن الماضي إلى حوالي سنة 1925، ثمّ وبطريقة يغلب عليها التّأريخ والتّوثيق يبدأ بعرض جولة سماها هو قصيرة لسير الحركة الشّعريّة في بلادنا، وقد وضع هذا التّصميم التّاريخي وذلك بتقسيمه حسب الفترات الزّمنيّة والأحداث السّياسيّة وهي:

شعر المنابر من أواخر القرن التّاسع عشر إلى سنة 1925.

شعر الأجراس من 1925 إلى 1936.
شعر البناء من 1936 إلى 1945.
شعر الهدف من 1945 إلى 1954.
شعر الثّورة من 1954.

ثمّ يتبع ذلك بقوله: «ويجب أن يكون واضحا أنّ نتناول الشّعر على هذا النّحو لم يكن مستندا على اعتبار أن كلّ فترة تمثّل حدّا فاصلا. إنّ المقصود من ذلك التّناول يقوم على تتبّع الجولات التّاريخيّة ومدى تأثيرها في الشّعر...»[12]، فالتّاريخ في رأي ناقدنا أنفع لهذه الدّراسة كون هذه الفترة الّتي اختارها لا يوجد فيها تفاوت فنّيّ في هذا الشّعر، أو تحوّل في المضامين والأغراض أو تفاوت فيها، بل هناك تحوّل وتفاوت في أحداث التّاريخ الجزائريّ، وما ميّز هذا المقال هو كثرة الوثائق (النّصوص) والّتي استشهد بها لكلّ فترة من الفترات، إضافة إلى تلك اللّمسة العاطفيّة الوجدانيّة الّتي تحدّث عنها في مقدّمة هذا الكتاب.

أمّا في مقال ثالث والّذي عنونه بـــ(محاولاتنا في النّقد)[13]، فكان بدوره بحثا في تاريخ النّقد الجزائريّ، فبعد أن بدأ بمقدمة أثبت فيها محدوديّة هذا النّقد والّتي ربطها بمحدوديّة الأدب، نجده يقسّم مراحل هذه المحاولات النّقدية إلى أربعة.

صنّف الأولى تاريخيّا بداية القرن العشرين، والّتي حمل لواءها بعض المشايخ الدّاعين إلى نبذ الجديد والتّشكيك في قيمته الفنّيّة والموضوعيّة، ومن هؤلاء (أبو القاسم الحفناوي، والمولود بن الموهوب، ومحمّد بن أبي الشنب وغيرهم)، أمّا الثّانية فتتمظهر فيما كان يقدّمه الشّيخ بن باديس إلى تلامذته من طرائق لتدريس الأدب وأساليبه. في حين أنّ الثّالثة فيتزعّمها رفيق ابن باديس الشّيخ البشير الإبراهيمي، والّذي كانت ثقافته الأدبيّة أوضح من ابن باديس، وقد ساعدته الكتابة والتّدوين إلى الميل إلى النّقد والتّوجيه خاصة عبر الصّحافة، أمّا آخر مرحلة فتمثّل الجيل الّذي تخرّج علميّا على يد ابن باديس وأدبيّا على يد الإبراهيمي. وهذه المرحلة تبدأ بعد الحرب العالميّة الثّانية وعلى رأس من يمثل هذه المرحلة الواقعي رضا حوحو، والرومانتيكي أمثال حمزة بوشوكة، وعبد الرّحمن بن منصور، ومولود الطّايب[14].

والملاحظ على هذا المقال —ورغم قصره- إلاّ أنّ الباحث حاول أن يجمع فيه — تاريخيّا على الأقلّ- النّشاط النّقديّ في الجزائر قبل خمسينيات القرن الماضي رجوعا إلى بدايته، مركّزا على بعض الأسماء وعلى بعض الظّروف السّياسية والاجتماعيّة —كما هو شأن دارسي

تاريخ الأدب- إلاّ أنّنا وجدنا غياب الوثائق والتّواريخ والبيئات وهذا ربما راجع إلى أنّ أبو القاسم سعد الله قصد ذلك. كون المقال مقتضب.

وفي جل ما كتب بعد ذلك نجد أبو القاسم سعد الله وفيّا للمنهج التّاريخيّ، خاصة في كتابه (تجارب في الأدب والرّحلة)[15]، وقد تعرّض فيه لنصوص كتّاب جزائريين كمصطفى الغماري، وزهير ونيسي، وعبد الله الرّكيبي، وأبو العيد دودو، بالدّراسة والتحليل، وقد غلب على ذلك الرّؤية التّاريخية وتتبّع المراحل انطلاقا من التّاريخ والبيئة.

2- عبد الله ركيبي:

لقد كانت استعانة ركيبي بالمنهج التّاريخيّ أقلّ من أبي القاسم سعد الله، ورغم أنّه يشاطره الممارسة التّاريخيّة إلاّ أنّه كان يرى بأنّ التّاريخ وسيلة للقراءة –تقبل في كثير من الأحيان- البديل، أي أنّ التّاريخ يستطيع أن يقرأ جانبا من النّصّ الأدبيّ وليس كلّه، وهذا ما نجده يصرح به في مطلع دراسته للقصّة الجزائريّة* قائلا: «اخترت المنهج الّذي يجمع بين النّقد والتّاريخ، فالتّاريخ هنا ليس مقصودا لذاته، وإنّما هو بيان لخطّ تطوّر القصّة ومسارها العام، وما هي الأشكال الّتي ظهرت فيها، لأنّ الأدب يتطوّر بتطوّر حياة الإنسان، والتّاريخ مساعد على تحديد مراحل هذا التّطوّر»[16].

فقد تتبّع في هذا الكتاب القصّة الجزائرية –تاريخيّا- من 1928 إلى 1962، ويظهر المنهج التّاريخي بوضوح في الفصل الأوّل عندما تناول نشأة الفنّ القصصيّ في بلادنا، وذلك انطلاقا من السّياق التّاريخيّ كما لاحظنا عند من تبنّوا التّاريخ في دراسة الأدب، وكما لاحظنا عند أبي القاسم سعد الله، وتمثّل هذا السياق لدى النّاقد في (الظّروف الّتي أنجبت هذا الفنّ في أدبنا، والمؤثّرات الّتي ساعدت على تطوّره ويغلب على هذين العنصرين السّياسة والبيئة)، ثمّ تعرّض للعوائق الّتي اعترضت تطوّر القصّة والّتي وجدها فنّيّة في الغالب.

أمّا باقي الدّراسة فقد مزج فيها بين التّاريخ والدّراسة الفنّيّة –كما يقول- فتحدّث عن مضامين القصّة ورأى أنّها تتراوح بين الإصلاحيّة والواقعيّة والنّضاليّة والتّرفيهيّة والثّقافيّة، كما تحدّث عن عناصر هذه القصّة فنّيّا، متتبّعا كلّ ذلك من خلال تقسيمٍ تاريخيٍّ يراه هو، وقد ذيّل هذه الدّراسة بملحق للنّصوص القصصيّة والمراجع الّتي أخذ منها مادّته، وهذا –كما هو معروف- من صميم الدّراسات التّاريخيّة.

والكلام نفسه ينطبق على كتابه (تطوّر النّثر الجزائريّ الحديث) 1830- 1974[17]، فمن المقدّمة يصرّح بنهاجيته التّاريخيّة إذ يقول: «والواقع أنّ المنهج الّذي اخترناه هو منهج النّقد والتّحليل والاستعانة بالتّاريخ...»[18]، وقد اخترنا الفصل الأوّل من الباب الأوّل والّذي درس فيه الأشكال النّثرية التّقليديّة، كما اخترنا الفصل الأوّل المقال الأدبي من الباب الثّاني والّذي درس فيه الأشكال النّثرية الجديدة لمناقشته وتبيان معطيات المنهج التّاريخيّ فيه.

- الخطب والرّسائل: بدأ بحركيّة الخطابة من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث في الأدب العربي، بعد ذلك تطرق لها في الأدب الجزائري الحديث، فمع الأمير عبد القادر وبعض المثقفين في الجزائر تخلصت من أساليب التكلف التي سادت عصر الضعف. ثمّ يسترسل –بعد ذلك- في دراسة فنّيّة لطائفة من خطب الأمير عبد القادر الجهادية[19].

ثم يعود إلى التّاريخ ثانية حيث يرى أنّ بعد (الأمير) تدهورت الخطابة وضعفت لظروف تتّصل بالبيئة أوّلا –بيئة استعمارية- والحياة الفكريّة والثّقافيّة ثانيا، والّتي ركدت بسبب الظروف السياسية، خاصة الاستعمار وما جرّه على الشّعب من تفقير وتجويع وخوف، إذ شهدت الخطابة أحلك فترة لها في الجزائر ما بين الثّلث الأخير من القرن التّاسع عشر، والعقد الأوّل من القرن العشرين، خاصّة في المساجد الرّسمية التّابعة للحكومة الفرنسيّة.

ولكن بعد انتشار الأفكار الإصلاحيّة، واتصال الجزائر بمن حولها وإنشاء النّوادي والجمعيّات الثّقافيّة وانتشار الصّحافة الوطنيّة بدأت تظهر –نتيجة ذلك- خطابة متطوّرة في أسلوبها ومضمونها خاصّة بعد ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين سنة 1931، ثمّ يواصل سرده التّاريخيّ لخطّ تطور الخطابة في الجزائر، ليشير إلى خطباء حزب الشّعب سنة 1937 والّذين ذهبت آثارهم ذلك أن طريقهم في مهاجمة الاستعمار صَعَّبَ نشر خطبهم أو تسجيلها، كما أنّ صحفهم كانت تصادر باستمرار.

وبعد تعرّضه لمجموعة من النّماذج خاصّة من خطب أعلام جمعيّة العلماء المسلمين (ابن باديس والإبراهيمي والطيب العقبي وغيرهم) بالتّحليل وتبيان أثر الأوضاع السّياسيّة والثّقافيّة عصرئذٍ فيها، يشير إلى أثر البيئة الّتي أنتجتها، مركّزا على شخصيات من أنتجوها –وهذا كلّه ضمن إطار معطيات المنهج التاريخي- يعود إلى التّدرّج التّاريخي متطرّقا لحال الخطابة في الثّورة، والّتي كانت أداة لتعميق الفكر الثّوري، ثمّ بعد الاستقلال حيث يرى أن الحاجة لها قد قلّت وبالتّالي ضعفت نوعا ما فنّيّا، وأصبح الهدف هو التّعبير المباشر عن الفكرة[20].

إذن فسمات المنهج التّاريخيّ –كما سبقت الإشارة- واضحة لدى عبد الله ركيبي، إلاّ أنّه استطاع أن يخفي هذا المنهج –حرصا منه ألاّ يتحول الكتاب إلى وثيقة تاريخية بحتة- عن طريق تطعيم هذه الدّراسة بالتّحليل والشّرح، والّذي كان يغلب عليه الاستقراء، في حين يغيب مصطلح التّاريخيّة النّقدية عن معظم الدّراسة، رغم أنّه تعرّض لمعظم القضايا المتعلّقة بالنّقد التّاريخيّ.

أما في الباب الثّاني وعند تعرّضه للمقال الأدبيّ[21]، وهو من الفنون الحديثة، يقتفي الطّريقة نفسها، إذ يبدأ بلمحة تاريخيّة عن المقال الأدبي، ثمّ يتعرّض إلى ظهوره في الجزائر متحدّثا عن الظّروف والمؤثّرات التي صاحبته، وما يلبث أن يعرض علينا طائفة من المقالات المنتمية زمنيّا إلى فترة الأربعينيّات من القرن الماضي، ويقوم بتحليلها ليكتشف أنّ مضامينها تدور كلّها حول: إمّا الإصلاح أو الوطنيّة لنشر الوعي السّياسي لدى الجزائريين، ويغيب عن هذا الفصل التّأريخ وتتبع الظّاهرة وتطوّرها وأثر البيئة والزمن فيها –إلا نادرا- وذلك –في رأي الباحث- أن المقال الأدبيّ يكاد يكون محدود الوجود في الأدب الجزائريّ الحديث بسبب سيطرة المقال الصّحفي.

وعموما فالباحث يجد سهولة في طرق المواضيع الّتي يكون التّأريخ للظّواهر الأدبيّة والتّوثيق لها أداةً ومنهجًا، بيد أنّه يجد صعوبة عندما يواجه مضامين نصوص ذات توجّه رومانتيكي مثلا، فحين يتناول الشّاعر مثل (مبارك جلواح) الّذي لا يهتمّ –في نزوعه المتفرّد- بالبيئة التّاريخيّة والاجتماعيّة، نجد النّاقد يعترف بذلك إذ يرى أنّ الصّعوبة الّتي يمكن أن تواجه البّاحث في مثل هذه الدّراسات هي أنّ تاريخ صاحبها غامض إلى حدّ ما، فبالرّغم من المعلومات القليلة الّتي بين أيدينا، والّتي لا تشفي غليل الباحث، فإنّ الشّاعر يكاد يكون مجهولا حتّى بين معاصريه، الّذين لا يكادون يُعرفون عنه شيئا، الأمر الّذي يحتار معه دارس شعره، ومن هنا كان من الأنسب أن أختار المنهج النّقدي الفنّيّ وحده لدراسة شعر جلواح، أمّا العنصر التّاريخي فيكاد يكون معدوما، والواقع أنّ هذا المنهج قد لا يكون كافيا في دراسة شاعر مجهول[22].

3- صالح خرفي:

نجد هذا النّاقد هو الآخر يترع إلى المنهج التّاريخي في جلّ أعماله، إذ كثيرا ما نجده يتتبّع حركة فنّ من فنون الأدب أو غرض من أغراضه تاريخيا، وسنحاول أن نتعرض لكتابه (مدخل إلى الأدب الجزائريّ الحديث) والّذي نشره سنة 1983، ولكن قبل ذلك أردنا أن نلقي نظرة سريعة على أهمّ مؤلّفات الرّجل، والّتي كان يغلب على معظم محتوياتها التّاريخيّة، كون النّاقد وفي

كلّ مرّة يصرّح بأنّ الأدب الجزائريّ –في عصره طبعا– ما زال معظمه بِكْرًا لم يتعرض له أحد بالقراءة ولا حتّى بالجمع، لذلك نجده يسعى إلى هذه الغاية ونقصد جمع شتات هذا الأدب وإعادة قراءته.

ولعلّ بحثه (شعر المقاومة الجزائري)[23] والّذي هو رسالة ماجستير قدّمها بالقاهرة سنة 1966 خير ما نستدلّ به على ذلك، إذ يكتشف المطّلع عليه أنّه يقترب من كونه وثيقة تاريخية للمقاومة الجزائرية في فترة الاستعمار، مدعّمة بكثرة الشّواهد الشّعريّة والّتي بذل مجهودا كبيرا من أجل جمعها من الصّحف والمجلاّت والكتب والمخطوطات ومن أصحابها، وسردٍ لأحداث المقاومة منذ أن وطأت قدم الاستعمار بلادنا، وفي كثير من الأحيان تتحوّل الدّراسة عن النّقد الأدبي إلى تاريخ الأدب أو حتّى إلى التّاريخ أحيانا.

كما يعثر المتصفّح لكتابه الضّخم (الشّعر الجزائريّ الحديث)* على نفس النّهاجيّة التّاريخيّة ومن بداية هذه الدّراسة يعلن عن ذلك قائلا: «استعنا بالتّاريخ في فهم النّصوص وموقعها فيه، وبالمجتمع في فهم ملابساتها وأصدائها، واستفسرنا النّفسيّة الّتي أثّرَتْهَا المأساة عمقا وإحساسا، و لم نغفل السّياسيّة الّتي تعتبر المنطق الرّئيسيّ للشّعر الجزائريّ الحديث»[24]. ويبدو للباحث أنّ هذه القناعة المنهجيّة التّاريخية قد طبّقها بعناية، خاصّة على المستوى الإجرائي، ونكتشف ذلك بيسر في بيبلوغرافيا البحث، إذ تأخذ المراجع التّاريخية فيه حصّة الأسد.

و قَسَّمَ الناقد في هذا الكتاب المتن الشّعريّ الجزائريّ انطلاقا من موضوعاته (الشّعر الدّيني والشّعر الوطني والشّعر الثّوري والشّعر العاطفيّ)، وقبل أن يخوض في ذلك استهلّ الدراسة بمدخل للحالة العامّة في الجزائر قبل الثّورة دينيّا وفكريّا واجتماعيّا وسياسيّا، ليمهّد للقارئ الدّخول معه في هذه الرّحلة التّاريخية لتّطور المتن الشّعريّ في الجزائر، لأنّ الحدث التّاريخيّ هو محور هذه الدّراسة، قبل القضايا الفنّيّة والّتي تأتي عنده في المرتبة الثّانيّة وتتمظهر هذه القضايا في (الطّابع التّقليديّ والتّعبير المباشر والنّبرة الخطابيّة والنّغمة الهادئة والشّعر الحرّ)، ويبدو أن النّاقد قد قصّر في هذا الجانب لحساب الجانب التّاريخي حيث أن حجمها لم يتجاوز الإحدى والعشرين (21) صفحة ضمن كتاب يتجاوز الخمسمائة (500) صفحة، فلم تتعدّ الإشارات العابرة. وكعادته فقد أتبع الدّراسة بفهارس تاريخيّة للأشعار الجزائريّة المغمورة، وكذا ملاحق لأشعار لم تنشر أو نشرت في مجلاّت أو جرائد يصعب الحصول عليها، وكثيرا ما نجد مثل هذا التّذييل لدى أصحاب النّهاجية التّاريخيّة.

وظلّ ناقدنا وفيّا للمنهج التّاريخيّ حتّى بداية تسعينيّات القرن الماضي، أين انفتح النّقد الجزائريّ على جلّ المناهج السّياقيّة والنّسقية معا، بل كان أكثر وفاء له، خاصّة في دراسة التي تناول فيها بعضا من أدب الكاتب الجزائري (رضا حوحو) وقد وسمها بـــ(أحمد رضا حوحو في الحجاز)[25].

والدّراسة تبدأ بعرض تاريخيّ مطوّل ووافٍ لحياة أحمد رضا حوحو من لحظة ميلاده سنة 1911 متتبّعا كلّ مراحل حياته بالتّفصيل، حتّى استشهاده سنة 1956، متحدّثا عن شبابه بالحجاز فعودته إلى البلاد، ساردا الظّروف الّتي ساعدت على توجهه للأدب، والبيئات الّتي عملت على صقل موهبته، والأشخاص الّذين احتكّ بهم خاصّة من أهل الفكر والثّقافة والأدب، وكلّ ما من شأنه أن يخدم الدّراسة التّاريخيّة، ليختتم بملحق أو ثبت شافٍ لنصوص الإرث الأدبي الّذي كتبه الشّهيد في الحجاز، وقد كانت هذه الدراسة –رغم تأخرها زمنيا- شبيهة بمثيلاتها، والتي حاول من خلال معظم ما ألفه –كما سبقت الإشارة- جمع شتات الأدب الجزائري.

سنقدم فيما يلي قراءة نقدية في كتابه (المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث)* الصادر سنة 1983 لنتبين مدى إخلاصه لمنهجه التّاريخيّ من عدمه، فمنذ التّمهيد يبدأ الحديث عن التّأريخ للأدب الجزائريّ حيث يعتقد أنّ «الحرب العالمية الأولى تكاد تكون معلما بارزا في حياة الجزائر السّياسية والفكريّة والدّينيّة والاجتماعيّة جميعا. والقضيّة ليست في الحرب ذاتِها، بل ما سبق الحرب وما تلاها من ملابسات كانت ذات أبعاد في حياة الجزائر بمختلف وجوهها، فالثّلاثون سنة من مستهلّ القرن الماضي –والّتي تتوسّطها الحرب- عرفت ميلاد الصّحافة العربيّة الوطنيّة في بلادنا، كما عرفت انبعاث الحركات العلميّة الإصلاحيّة، وهي المنعرج الّذي طالعنا بشخصيّات جزائريّة بارزة، كما أنّ دراسة الطّبيعة وإلقاء الأضواء على البيئة كمدخل لدراسة ظاهرة أدبية فكرية لا يساعد فقط على فهم النّصّ وإنصافه بهديٍ من ملابساته وظروفه، بل يساعد أيضا على تتبّع الجذور العميقة للنبتة الأدبية وطبيعة الأرض التي انشقت عنها، حتّى لا تهتمّ بالفرع مقطوعا من أصله، أو نستند إلى أصل مجتث من أرضه»[26].

والملاحظ على هذه الفقرة أنّ الباحث مازال وفيّا للمنهج التّاريخي، فهو يربط ظهور الرّوح في الأدب الجزائري بأحداث تاريخيّة وسياسيّة، وبشخصيّات معينة عاشت في بيئات خاصّة وظروف اجتماعيّة وسياسية –خاصة هي الأخرى- ساعدت على رسم مسار توجهها. ثم يرسخ

التّاريخية عندما يؤكّد على دراسة الطّبيعة والبيئة كمدخل لدراسة الظّاهرة الأدبيّة وتتبّع جذورها، وما هذا إلاّ تلميحا للتّاريخ وما جاء به (تين) في ثلاثية (الزّمن/ البيئة).

ثمّ لا يكتفي بذلك بل يذهب إلى أنّ النّصوص الجزائريّة والّتي تطرحها فترات غير عادية، يكتنفها الغموض ويبعدها انعدام المصدر والمرجع؛ تكون أكثر إلحاحا على الدّارسين في فهم ظروفها وزمانها ومكانها، فإنّ النّصّ من هذه النّصوص لا يختلف في شيء عن الآثار المنقوشة المدفونة تحت الرّمال[27]. وكأننا به يتحدث عن علم الآثار والّذي هو من صميم التّاريخ. فيطرح الزّمان والمكان والظّروف والتّنقيب كمسلّمات لعمليّة البحث في الأدب.

الجزء الأوّل من هذا الكتاب والمعنون بـــ (الحالة السّياسية) وكأنّها محاضرة مطوّلة عن تاريخ الجزائر بداية القرن الماضي حتّى ثلاثينياته، فلقد قام النّاقد بمسحة تاريخيّة على الأوضاع في الجزائر آنئذ على طول 17 صفحة، مستعينا بكمٍّ هائلٍ من التّواريخ ومن الشّخصيّات، كما تعرّض لبعض الشّخصيات، وما قامت به في تلك الفترة بأسلوب تاريخيّ كحديثه عن (شارل جونار) (1927- 1957)[28].

أمّا الجزء الثّاني من هذه الدّراسة والموسوم بـــ (الحالة الاجتماعيّة) فلا يكاد يختلف عن سابقه، إلاّ بغياب التّواريخ والشّخصيّات، ويمكن أن نصنّفه ضمن المقال التّاريخي الاجتماعيّ، فقد تناول فيه البنية الاجتماعيّة في تلك الفترة بنبرة تاريخيّة واضحة، كأن يتحدّث عن الاحتلال والمأساة الاجتماعيّة الجزائريّة جرّاء التّجهيل والفقر بسبب الضّرائب والتّغريم المشترك وسلب الأراضي، والانديجان ووثيقة (فيوليت)، ليتحوّل في آخر هذا المقال وبنفس الرّؤية التّاريخيّة إلى الحديث عن دور الجمعيّات الخيريّة الحرّة والمدارس والنّوادي الثّقافيّة والشّعراء والأدباء في التّخفيف من وطأة هذه المأساة، للخروج بالبلاد من هذه الحالة. وكما سبقت الإشارة فإنّ المطّلع على هذين المقالين يشعر بأنه يطالع دروسا في تاريخ الجزائر لا مدخلا إلى الأدب الجزائري، وحتّى النّصوص الّتي اختارها النّاقد كانت تميل إلى الإصلاح السّياسي أكثر من ميلها إلى الأدب، ولغتها سياسية رغم أنّ من كتبها أدباء أو نقّاد؛ كالبشير الإبراهيمي والزاهري ومحمّد أمين العمودي.

في حين أنّ الجزء الثّالث والّذي تعرّض فيه للحالة الدّينيّة والفكريّة فيمكن أن نسجّل فيه نفس الملاحظات السّابقة، فكثرة الكتب التّاريخيّة الّتي استقى منها النّاقد مادّته خير شاهد على ذلك، ومنها كتب (محمّد الصّالح الصدّيق: الجزائر بين الماضي والحاضر)، (أحمد التّوفيق المدني: كتّاب الجزائر)، (محمد فريد: من مصر إلى مصر)، (أبو القاسم سعد الله الحركة الوطنية

الجزائرية)، (فيليب دي طرازي: تاريخ الصحافة العربية)، (رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام) إضافة إلى تلك اللّغة القريبة من التّاريخ أكثر من قربها من الأدب والنّقد الأدبي والغنيّة بالمعلومات التّاريخية والمفيدة لباحث التّاريخ أكثر منها إفادة لباحث النّقد الأدبي، اللّهم إلاّ بعض الإشارات القليلة لتعليقات حول نصوص أدبيّة.

في حين أنّ الجزئين الأخيرين من هذه الدّراسة خصّصهما للشعر الجزائريّ، فبدأ بـــ(شوقي والجزائر) ثمّ (الشّعر الجزائريّ الحديث). حاول من خلال هذين الفصلين إثبات الشخصيّة العربيّة للجزائر، رغم ما ظنّه كبار المثقّفين العرب أمثال (زكي مبارك وصالح جودت وإبراهيم الكيلاني)[29] من استحالة عودة الجزائر إلى أصالتها. وقد عنون المقال الأول بـــ (كان يظن أنّ الجزائر...!)، وقد استهلّه بهذا التّصريح لـــ(أحمد شوقي) الّذي زار الجزائر في شبابه، نقله من خطبة لعبد الحميد ابن باديس في حفل تأبين (شوقي)و (حافظ) سنة 1934، فيقول: «ولا عيب فيها سوى أنّها مسحت مسحا، فقد عهدت مساح الأحذية فيها يستنكف النّطق بالعربيّة، وإذا خاطبته بها لا يجيبك إلاّ بالفرنسية»[30]. وفي هذين الجزئين نجد النّاقد يتخلّى شيئا فشيئا عن النهاجية التّاريخيّة في النّقد، ليخرجها ببعض الرّؤى الفنّيّة والقراءات التّحليليّة.

وخلاصة القول حول هذا النّاقد فإنّنا نعتقد –إلى حدّ ما– أنّه كان باحثا كبيرا في تاريخ الأدب الجزائري، أي أنّه كان أقرب لدراسة تاريخ الأدب من النقد الأدبي. وقد كان وفيّا للمنهج التّاريخي وظل يبذل جهدا كبيرا في سبيل هذا الوفاء من جمع لمادّته الّتي كان يعرضها، في حين أنّ جهازه المصطلحي كان يفتقر –إلى حدّ ما– كذلك إلى مصطلحات هذا المنهج، ولكن كانت معطيات المنهج التّاريخية الموجودة بكثرة في أعماله.

وهناك أسماء أخرى لنقّاد جزائريّين اهتدوا بمعطيات المنهج التّاريخي في قراءاتهم النقدية سنذكر ما أنجزوه باختصار أمثال محمّد ناصر وفي إطار التاريخ تعرّض لـــ(مفدي زكريا شاعر النّضال والثّورة) كما خصّ الشّاعر الجزائريّ (رمضان حمّود) وآثاره[31] بدراسة مطوّلة تعامل فيها مع الشّاعر تاريخيّا أكثر ممّا تعامل مع شعره وشاعريته، لأنّ وفاءه للمنهج التّاريخي طغى على هذه الدراسة.

كما درس (المقالة الصحفيّة الجزائريّة) دراسة تاريخيّة مستفيضة، ويصرّح بذلك منذ بداية هذه الدراسة قائلا: «ولعلّ مراعاة المنهج التّاريخيّ... يعتبر جزءا من الجهد المتواضع الّذي تقدّمه هذه الرّسالة لأنّها ترسم تطوّرا تاريخيّا للفكر الجزائريّ...»[32]، ولا يمكننا أن نعثر إلاّ على المنهج

نفسه في كتابه (الشّعر الجزائريّ الحديث)[33]، ويعتبر هذا الكتاب نموذجا بيّنا للتّعامل التّاريخيّ مع الظّاهرة الأدبيّة، وقد يلاحظ الباحث أنّه يلجأ في بعض الأحيان إلى مناهج أخرى كـ (الاجتماعيّ والتّأثيريّ).

ورغم أنّه أراد أن يمحور دراسته على الجوانب الفنّية كاللّغة الاستثنائيّة والانزياح عن الدّراسات الّتي تركّز على جانب المضمون وتُعير كلّ اهتماماتها لقضايا المعنى، وتعطي القيمة الكبرى -عند تحليل النّصوص- للظّروف السّياسيّة والاجتماعيّة وغيرها، إلاّ أنّ دراسته كانت في معظمها تتمحور حول هذه الظّروف المحيطة بالسّند الشّعري، فقد خصّص الباب الأوّل منه -والّذي عنونه بـ: (المؤثّرات الأساسيّة في اتّجاهات الشّعر الجزائريّ الحديث)- لرصد السّياقات السّياسيّة والاجتماعيّة والنّفسيّة والثّقافيّة الّتي افترض تأثيرها في اتّجاهات الشّعر الجزائريّ الثّلاثة (التّقليديّ المحافظ، والوجداني الرومانسيّ، والجديد (الشّعر الحر))، حسب تقسيمه.

وهناك أسماء أخرى تبنت هذا المنهج ولكن بدرجات متفاوتة كبعض كتابات (عبد الله حمّادي)*، ومن تلك النّماذج أيضا نجد كتاب (يحي الشّيخ صالح) (شعر الثّورة عند مفدي زكريا) الصادر سنة 1987م، والّذي إن أفصح عن منهجه بأنّه (المنهج الفنّي بصورة عامّة)، وإن كان يستفيد من نتائج مناهج أخرى كالمنهج النّفسيّ والمنهج التّاريخيّ[34]. إلاّ أنّ الرّؤية التّاريخيّة ظلّت مهيمنة عليه.

كما كانت لعبد الملك مرتاض -قبل أن يتحوّل إلى الحداثة- إسهامات في النّقد التّاريخيّ -خاصّة بحوثه الأكاديميّة- ولعلّ أشهرها كتابه (فنون النّثر الأدبيّ في الجزائر) سنة 1983، وكتاب (فنّ المقامات في الأدب العربيّ) سنة 1988 في طبعة ثانية، وكتاب (نهضة الأدب العربيّ المعاصر في الجزائر) سنة 1983، وكانت كلها رصدا للظّاهرة الأدبيّة تاريخيّا؛ كتاريخ نشأتها وكيفيّة تطوّرها وعوامل التطوّر. ففي كتابه (القصّة الجزائريّة المعاصرة) سنة 1990 يبدأ بمسح تاريخيّ شامل لظهور القصّة فيقول: «شهد الشّهر السّابع من سنة خمس وعشرين من هـذا القـرن -ويقصد القرن الماضي- ميلاد القصّة الجزائريّة على يد محمّد السّعيد الزّاهريّ الّذي نشر في جريدة (الجزائر) محاولة قصصيّة عنوانها (فرانسوا والرّشيد)... فقد وجدنا هذه القصّة تخطو خطوات خجولة طورا، وجريئة طورا آخرا على أيدي محمّد السّعيد الزّاهريّ، ومحمّد العابد الجلاّلي ، وأحمد بن عاشور وأحمد رضا حوحو، ثمّ أبي القاسم سعد الله، فهؤلاء الخمسة أسهموا حتما في بناء هذا الصّرح الضّخم... ويمكن أن يندرج في هذه الفترة مرحلتان اثنتان:

أولى وتنتهي بظهور (غادة أم القرى) لحوحو.
وثانية وتنتهي بانتهاء ظهور (سعفة خضراء) لأبي القاسم سعد الله»[35]، ثم يتتبّع هذه المراحل أثناء الثّورة وبعدها مستشهدا بمعظم الأسماء الّتي ساهمت في خلق فنّ قصصيّ جزائريّ محض.

4- خلاصة:

الخلاصة التي يمكن أن يخرج بها الدارس لعموم النقد التاريخي في المدونة النقدية الجزائرية، هي أن هذا النقد اهتم بالنصوص الأدبية بمختلف أنواعها إبان فترة الاحتلال الفرنسي لبلادنا، وقد ظهرت بقوة في بداية ستينيات القرن الماضي، وازدهر في أوائل سبعينياته، على أيدي النقاد الأوائل أمثال (أبو القاسم سعد الله، وعبد الله ركيبي، وصالح خرفي، ومحمد ناصر، وعبد الملك مرتاض). وقد وجدنا أن رواد هذا النقد كانوا يتعاملون مع النص الأدبي تعاملا (أركيولوجيًّا)*، كما ركزوا على مضمون النص وسياقه التاريخي، مغيبين -في كثير من الأحيان – خصوصياته الفنية والجمالية، ويمكن القول أن هذا النقد وجد ضالته في النصوص الأدبية والتي كان الاستعمار عاملا من عوامل انتقام النقاد الجزائريين بعد الاستقلال للنصوص المضطهدة المغمورة.

ومن مآخذ هذا النقد –في اعتقادنا- أنه يحوّل النص الأدبي –شعره ونثره- إلى مجرد وثيقة تاريخية يستعين بها الباحث لتأكيد بعض الأفكار والحقائق، ويبدو واضحا أن هذا النقد غزا الأعمال الأكاديمية لفترة طويلة، دون أن نغفل قضية مهمة وهي أن نقاد المنهج التاريخي لدينا يعتبرون مؤرخين وإن تساهلنا معهم قلنا مؤرخين للأدب في الجزائر أكثر منهم نقادا.

الهوامش:

1 – ينظر: محمد بلوحي، الخطاب النقدي المعاصر من السياق إلى النسق، (الأسس والآليات)، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص. 11.

2 – محمد مندور، في الأدب والنقد، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت. ص.20.

3 – ينظر: محمد بلوحي، الخطاب النقدي المعاصر من السياق إلى النسق، الخطاب النقدي المعاصر من السياق إلى النسق (الأسس والآليات)، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص.18.

4 –ينظر:- يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص. 19.
– يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر، ص. 21.
– محمد بلوحي، الخطاب النقدي المعاصر من السياق إلى النسق، ص. 18-19-20.
*للتعرف أكثر على هذه الثلاثية ينظر: يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ، ص. 16.

5 – ينظر: يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص. ص. 19-20.

* في حين يرى الباحث عمار بن زايد أنّ هذا المنهج أول ما ظهر كان لدى محمد سعيد الزاهري، وذلك من خلال مقالة له وسمها بـ(طه حسين شعوبي ماكر)، حيث يرى الباحث أنّ الزاهري اعتمد في مناقشته لطه حسين على عنصرين هما: الاهتمام بشخصية الأديب، وصفاته، وخصائص منهجه، من جهة. وبيان منابع ثقافته مع الاهتمام بمؤلفاته، ونقدها من جهة ثانية، وللتفصيل أكثر حول هذه المناقشة ينظر:
– عمار بن زايد، النقد الأدبي الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص.125 وما يليها.

6 – ينظر: – يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر، ص.22.
7– أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، الدّار التّونسيّة للنّشر، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، تونس/الجزائر، ط.3، 1985.
8– أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص.8.
* – وهو بحث نشر بمجلة الرسالة العراقية ع. 5و6 السنة الثانية.1960.
9– للتفصيل أكثر ينظر: أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، الصفحات من 21إلى 29.
10– م. ن. ص.27.
* – وهو بحث نشره في مجلّة الآداب اللّبنانية ع.12، سنة 1957.
* – ويقصد المشارقة.
12– أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص.ص. 35–36.
13–وهو بحث نشر في مجلة (الآداب) اللبنانية. ع9. سبتمبر 1960.
14– ينظر: أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص.ص. 79 إلى81.
15– ينظر: أبو القاسم سعد الله، تجارب في أدب الرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
*– وهي عبارة عن أطروحة قدمها لنيل شهادة الماجستير سنة 1967 من جامعة القاهرة..
16 – عبد الله ركيبي، القصّة الجزائريّة القصيرة، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الدّار العربيّة للكتاب، الجزائر– تونس، 1983، ص. 6.
17– عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
18– م. ن. ص.7.
19– ينظر: أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، الصفحات 15إلى 21.
20– ينظر: أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص. 22–23–24.
21– ينظر: م. ن. ص. 133.
22– ينظر: عبد الله ركيبي، محمّد جلواح، من التّمرد إلى الانتحار، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص. ص. 8–9.
23– ينظر: صالح خرفي، شعر المقاومة الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د. ت.
*– وهو أطروحة لنيل شهادة دكتوراه قدمها بالجامعة المصرية سنة 1970.
24– صالح خرفي، الشّعر الجزائريّ الحديث، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص.8.
25– صالح خرفي، شهيد الثورة الجزائرية أحمد رضا حوحو في الحجاز (1934– 1965)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992.
*وهي مع دراستين (شعراء من الجزائر) و(في الأدب الجزائري الحديث) تعدّ من المؤلفات خارج اهتمام الناقد الأكاديمية، وقد صدرت هذه الدراسات متعاقبة سنتي 1982و 1984، عن المؤسسة الوطنية للكتاب.
26– ينظر: صالح خرفي، شهيد الثورة أحمد رضا حوحو في الحجاز (1934– 1965)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص. 11–12.
27– صالح خرفي، شهيد الثورة أحمد رضا حوحو في الحجاز، ص. 12.
28– صالح خرفي، شهيد الثورة أحمد رضا حوحو في الحجاز، من الصفحة 16 إلى الصفحة 22.
29– صالح خرفي، شهيد الثورة أحمد رضا حوحو في الحجاز ، ص. ص. 84–85.
30– صالح خرفي، شهيد الثورة أحمد رضا حوحو في الحجاز ، ص. 77.
31– ينظر: محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط.2، 1985، من الصفحة 25 إلى الصفحة 54.
32– محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص. 17.
33– محمد ناصر، الشّعر الجزائريّ الحديث، درا الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985.
* خاصة في كتبه: (مدخل إلى الشّعر الأسباني المعاصر)، و(دراسات في الأدب المغربي القديم) هذا الكتاب الذي اتخذ فيه النّصوص الأدبية وثائق تاريخية مهمة لبعض الظواهر والأحداث كتاريخ المولد النبوي وتاريخ سقوط غرناطة.
34– ينظر: يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا، دار البعث، الجزائر، 1987، ص.4.
35 – عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1990.ص.7.
* علم الآثار والفنون القديمة.